عن الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقني
وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير
فحذيفة اذ كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن
يعمل كذا وكذا يسألونه عن الاعمال وفضايل الاعمال
وكنت اقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما راني
اسال عن افات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة
رضي الله عنه قد خص بعلم المنافقين وافرد بمعرفة
علم النفاق واسبابه ودقايق الفتن فكان عمر وعثمان
واكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة
والخاصة وكان يسال عن المنافقين فيسالنا العدد
من بقي ولا يخبرنا باسمايهم فكان عمر رضي الله عنه يساله
عن نفسه هل يعلم فيه شيا من النفاق فبراه من ذلك
وكان عمر اذا دعي الى جنازة ينظر فان راي صلى عليها
والا تركها وكان يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات
القلب واحواله هو داب علما الاخرة لان القلب هو الساعي
لقرب الرب عز وجل وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا
وان اتفق من العالم لشي منه استبعد واستغرب وقيل
هذا تزويق المذكورين فاين التحقيق في دقايق المجادلات
ولقد صدق القايل

الطرق شتى وطرق الخير مفردة … والسالكون طريق الحق افراد
لا يعرفون ولا تدري مقاصدهم … فهم على مهل يمشون قصاد
والخلق في غفلة كما يراد بهم … فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة فلا يميل اكثر الخلق الا الى الاسهل والارفق
لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وادراكه شديد
وطريقه مستوعر لا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره
عن الاخلاق الذميمة فان ذلك نزوع للروح على الدوام

وصاحبه

وصاحبه ينزل منزلة شارب الدوا يصبر على مرارته
رجا للشفا وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه
فهو يقاسي الشدايد ليكون فطره عند الموت ومتى تكثر
الرغبة في هذا الطريق ولذا قيل كان بالبصرة مايه
وعشرون متكلما في الوعظ والتذكير ولم يكن ممن يتكلم
في علم اليقين واحوال القلوب وصفات الباطن الا
ثلاثة مثل سهل التستري والضبعي وعبد الرحمن وكان
يجلس الى اوليك الخلق الكثير الذي لا يحصى والى
هولا عدد يسير قلما يتجاوز العشرة لان النفيس العزيز
لا يصلح الا لاهل الخصوص وما يبذل للعموم فامره قريب
ومنها ان يكون اعتماده في العلوم على بصيرته وادراكه
بصفا قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد
ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلوات
الله عليه فيما امر به وقاله انما نقلد الصحابة من حيث
ان فعلهم يدل على سماعهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
ثم اذا قلد صاحب الشرع في تلقي افعاله واقواله
بالقبول فينبغي ان يكون شديد البحث عن اسرار
الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعا
للعلم ولم يكن عالما ولذلك كان يقال فلان من اوعية
العلم فلا يسمى عالما اذا كان من شانه الحفظ من غير
اطلاع على الاسرار والحكم ومن كشف عن قلبه
الغطا واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا
مقلدا فلا ينبغي ان يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس
ما من احد الا ويوخذ من علمه ويترك الا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد كان تعلم زيد ابن ثابت الفقه وقرا على ابي
ابن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراة وقال بعض
السلف ما جانا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه

Copyright King Saud University